□ عُلُوُّ الهِمَّة في الحَيَاء □

اعلمْ - رحمك الله - أنه على حسَبِ حياة القلب ، يكون خُلُق الحياء ، وقلّة الحياء من موت القلب والروح ، فكلّما كان القلب أحيا كان الحياء أتمَّ .

قال تعالى : ﴿ **ألم يعلمْ بأنَّ الله يرىٰ** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلمُ ما توسوس به نفْسُه ونحن أقرب إليه من حبْل الوريد** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فلَنقصَّنَّ عليهم بعلمٍ وما كنا غائبين** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وما تكون في شأنٍ وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلّا كنا عليكم شهودًا إذ تُفيضون فيه وما يَعْزُبُ عن ربِّك من مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السماء** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسْمع سرَّهم ونجواهم بلىٰ ورسلُنا لديهم يكتبون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **ألَا إنه بكلِّ شيءٍ محيط** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وكان اللهُ على كل شيءٍ رقيبًا** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **والله على كل شيءٍ شهيد** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **واللهُ بصير بما تعملون** ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وأسِرُّوا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور** ﴾ . وقال تعالى : ﴿**ألا إنَّهم يَثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرُّون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور** ﴾ .وقال تعالى : ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور** ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من فعَلَهنَّ فقد طَعِم طعْمَ الإيمان: مَن عَبَدَ الله وحده ، وأنه لا إله إلّا الله ، وأعطىٰ زكاة مالهِ طيِّبةً بها نفسه رافدة[1] عليه كل عام . ولا يُعطي الهَرِمَة ولا الدَّرِنة[2]، ولا المريضة ، ولا

(١) رافدة : فاعلة من الرفد ، وهو الإعانة أي تعينه نفْسُه على أداء الزكاة .

(٢) الدرنة : الجرباء .

الشَّرَط[١] اللئيمة[٢]، ولكنْ من وسط أموالكم ؛ فإن الله لم يسألكمْ خيره ، ولم يأمرْكم بشرِّه »[٣] .

زاد البيهقي في روايته : « وزكّى نفسَه » . فقال رجل : وما تزكية النفس ؟ فقال : « أن يعلم أنَّ الله عز وجل معه حيث كان » .

قال الإمام محمد بن يحيى الذهلي : « يريد أن الله علْمُه محيط بكلِّ مكان ، والله على العرْش » .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « لا يجد عبدٌ صريحَ الإيمان حتَّى يعلم بأن الله تعالى يراه ، فلا يعمل سرًّا يُفْتضح به يوم القيامة » .

ولله درُّ الجنيد حين يقول : « الحياء : رؤية الآلاء ورؤية التقصير ، فيتولَّد بينهما حالة تسمَّى الحياء . وحقيقته : خلُقٌ يبعث على ترْك القبائح ، ويمنع من التفريط في حقِّ صاحب الحق » .

قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئتَ »[٤] .

وقال ﷺ : « آخر ما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستحِ فاصنع ما شئتَ »[٥].

وقال ﷺ : « إن لكل دين خلقًا ، وإن خُلُقَ الإسلام ....

---

(١) الشرط : قال أبو عبيد : هو صغار المال وشراره . وقال الخطابي : رذالة المال .

(٢) اللئيمة : البخيلة باللبن .

(٣) صحيح : رواه أبو داود بسند فيه انقطاع ، ووصَلَه الطبراني في الصغير ، والبيهقي في السنن ، وصحَّحه الألباني في الصحيحة رقم ١٠٤٦ .

(٤) رواه البخاري وأحمد وأبو داود وابن ماجه عن ابن مسعود ، وأحمد عن حذيفة .

(٥) صحيح : رواه ابن عساكر في تاريخه عن أبي مسعود البدري ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢ .

الحياء »[١].

وقال رسول الله ﷺ : « الحياء خيرٌ كلُّه »[٢].

وقال رسول الله ﷺ : « الحياء لا يأتي إلَّا بخير »[٣].

وقال رسول الله ﷺ : « الحياء من الإيمان »[٤].

وقال رسول الله ﷺ : « إن الحياء والإيمان قُرِنَا جميعًا ، فإذا رُفِع أحدهما رُفِع الآخر »[٥] .

وقال رسول الله ﷺ : « الإيمانُ بضعٌ وستُّون شعبة ، والحياء شعبة مِن الإيمان »[٦] .

وقال رسول الله ﷺ : « الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة ، والبذاء[٧] من الجفاء ، والجفاء في النار »[٨].

---

(١) حسن : رواه ابن ماجه عن أنس وابن عباس،وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢١٤٥ .

(٢) رواه مسلم وأبو داود عن عمران بن حصين .

(٣) رواه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين .

(٤) رواه مسلم والترمذي عن ابن عمر .

(٥) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٥٩٩ .

(٦) رواه البخاري عن أبي هريرة .

(٧) البذاء : إظهار الفحْش من القول .

(٨) صحيح : رواه الترمذي والحاكم ، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة ، والبخاري في الأدب وابن ماجه والحاكم ، والبيهقي عن أبي بكرة ، والطبراني في الكبير ، والبيهقي عن عمران بن حصين ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣١٩٤ .

وقال ﷺ : « الحياء والعِيُّ [(١)] شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان [(٢)] شعبتان من النفاق » [(٣)] .

وقال رسول الله ﷺ : « ما كان الفحْشُ في شيءٍ قطُّ إلَّا شانه ، ولا كان الحياء في شيء قطُّ إلَّا زانه » [(٤)] .

اللهُ تعالىٰ حَيِيٌّ يُحبُّ الحياءَ :

عن سلمان رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الله حييٌّ كريم ، يستحيي أن يرفعَ الرجل إليه يديه أن يردَّهما صِفرًا خائبتين » [(٥)] .

وعن يعلىٰ بن أُميَّة رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله تعالى حييٌّ سِتِّيرٌ يحبُّ الحياء والسِّتْر ، فإذا اغتسَلَ أحدكم فلْيستترْ » [(٦)] .

قال شيخ الإسلام ابن القيم : « وأمَّا حياءُ الربِّ تعالى من عبده ، فذاك نوعٌ آخر ، لا تدركه الأفهام ، ولا تكيِّفه العقول ؛ فإنه حياءُ كَرم وبِرٍّ وجودٍ وجلالٍ ؛ فإنه تبارك وتعالى حَيِيٌّ كريم ، يستحيي من عبده ، إذا رفع إليه يديه أن يردَّهما صفرًا ، ويستحيي أن يعذِّب ذا شيْبة شابت في ....

---

(١) العِي : سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل .

(٢) فصاحته وإن كان بغير حقّ .

(٣) صحيح : رواه أحمد والترمذي ، والحاكم عن أبي أمامة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣١٩٦ .

(٤) صحيح : رواه أحمد ، والبخاري في الأدب ، والترمذي وابن ماجه عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٥٣١ .

(٥) صحيح : أخرجه أبو داود ، والترمذي ، وصحَّحه الألباني في:صحيح الترمذي ٣/١٧٩ ، وصحيح ابن ماجه ٢/٣٣١ ، وصحيح سنن أبي داود .

(٦) صحيح : أخرجه أبو داود ، والنسائي ، والبيهقي ، والإمام أحمد ، وصحَّحه الألباني في:الإرواء ٧/٣٦٧ ، وصحيح النسائي ١/٨٧ .

الإسلام »[١] .

قال المباركفوري : « قوله : (إنَّ الله حييٌّ) : فعيل من الحياء ، أي كثير الحياء ، ووصْفه تعالى بالحياء يُحمَل على مَا يليق له ، كسائر صفاته ، نؤمن بها ولا نُكيِّفها »[٢] .

فاللَّه عز وجل مع كمال غِناه عن الخلْق كلِّهم، من كرمه يستحيي من هتْكِ العاصي ، وفضيحته ، وإحلال العقوبة به ، فيستره بما يقيِّض له من أسباب الستر ، ويعفو عنه ، ويغفر له ، ويتحبَّب إليه بالنعم ، ويستحيي ممن يمدُّ يديه إليه سائلًا متذلّلًا أن يردَّهما خاليتيْن خائبتيْن .

قال المناوي : « قال التوربشتي : وإنما كان الله يحبُّ الحياء والستْر ؛ لأنهما خصْلتان يُفضيان به - أي بالعبد - إلى التخلُّق بأخلاق الله »[٣] .

قال الإمام المحقِّق ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى : « مَن وافق الله في صفةٍ من صفاته ، قادتْه تلك الصفة إليه بزمامها ، وأدخلتْه على ربِّه ، وأدْنَتْه وقرَّبتْه من رحمته ، وصيَّرتْه محبوبًا له ؛ فإنه سبحانه رحيم يحبُّ الرحماء ، كريم يحبُّ الكرماء ، عليمٌ يحبُّ العلماء ، قويٌّ يحبُّ المؤمن القويَّ ، وهو أحبُّ إليه من المؤمن الضعيف ، حييٌّ يحب أهل الحياء ، جميل يحبّ أهل الجمال ، وترٌ يحبُّ أهل الوتر »[٤][٥] .

أقسامُ الحياءِ عشْرَةُ أوْجُه :

قال شيخ الاسلام ابن القيم: «وقد قُسِّم «الحياء» على عشرة أوجه :

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٦١ .
(٢) تحفة الأحوذي ٩/٥٤٤ .
(٣) فيض القدير ٢/٢٢٨ .
(٤) الجواب الكافي ص٧٧ .
(٥) الحياء خلُق الإسلام ص٢٠ - ٢٢ .

حياء جِناية . وحياء تقصير . وحياء إجلال . وحياء كرم . وحياء حشمة . وحياء استصغار للنفسِ واحتقارٍ لها . وحياء محبَّة . وحياء عبودية . وحياء شرفٍ وعزَّةٍ . وحياء المُسْتَحْيي مِن نفسه »[١] .

١ - حياءُ الجنايَـة :

منه : حياء آدم عليه السلام لمَّا فرَّ هاربًا في الجنة ، قال الله تعالى : أفرارًا مني يا آدم ؟! قال : لا يا ربِّ ؛ بل حياءً منك .

ومنه حياء الأنبياءِ في عرَصَات القيامة ، وليس عندهم ما يُزري بمراتبهم العالية السامية .

روى قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجمع اللهُ الناس يومَ القيامة ، فيهتمُّون لذلك ، فيقولون : لو استشفعنا إلى ربِّنا ، حتى يُريحنا من مكانِنا هذا ؟ قال : فيأتون آدم ، فيقولون : أنت آدم أبو الخلْق ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدُوا لك ، اشفعْ لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول : « لستُ هُناكم » . فيذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحيي ربَّه منها .. « ولكن ائتوا نوحًا : أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض » . قال : فيأتون نوحًا ، فيقول : « لستُ هناكم » . فيذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحيي ربَّه منها ... « ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلًا » . فيأتون إبراهيم ، فيقول : « لستُ هناكم » . وذكَر خطيئته التي أصاب ، فيستحيي ربَّه منها . « ولكن ائتوا موسىٰ الذي كلمه الله ، وأعطاه التوراة » . قال : فيأتون موسىٰ ، فيقول : « لستُ هناكم » . ويذكر خطيئته التي أصاب ، فيستحيي ربَّه منها ... « ولكن ائتوا عيسىٰ روحَ الله وكلمته » . فيأتون عيسى روح الله وكلمته ، فيقول : « لستُ هناكم ، ولكن ائتوا محمدًا ؛

(١) مدارج السالكين ٢/٢٦١ ، والرسالة القشيرية ٢/٤٥٤ - ٤٥٩ .

عبدًا غفرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر » . قال : قال رسول الله ﷺ : فيأتونني ، فأستأذن على ربِّي، فيُؤْذَن لي ، فإذا أنا رأيتُه وقعتُ ساجدًا، فيدعني ما شاء الله ، فيُقال : يا محمد ، ارفعْ ؛ قلْ يُسمَع ، سلْ تعطَهْ ، اشفع تشفَّع »[١] .

وعن محمد بن حاتم قال : قال **الفُضَيْل بن عياض** : لو خُيِّرتُ بين أن أُبعَثَ فأدخل الجنة ، وبين أن لا أُبعث ؛ لاخترتُ أن لا أُبْعث » . قيل لمحمد ابن حاتم : هذا من الحياء ؟ قال : نعم ، هذا من طريق الحياء مِن الله عز وجل .

وشهِد الفضيل رحمه الله الموقف الأشرف في عرفات ، فرفع رأسه إلى السماء ، وقد قبض على لحيته ، وهو يبكي بكاءَ الثكْلى ، ويقول : « واسوأتاه منك ، وإن عفوتَ !! » .

يا خجلةَ العبدِ مِن إحسانِ سيِّدِهِ ... يا حسْرَةَ القلبِ من أَلْطافِ معناهُ
فكمْ أسأتُ وبالإحسـانِ قابلني ... واخجلتي واحَيائي حينَ ألقـاهُ
يا نفسُ كمْ بخفيِّ اللُّطْف عامَلني ... وقد رآني على ما ليسَ يرضـاهُ
يا نفسُ كمْ زلَّةٍ زلّتْ بها قدمـي ... وما أقالَ عِثاري ثَـمَّ إلّا هــو
يا نفسُ توبي إلى مولاكِ واجتهدي ... وصـابِري فيه إيقـانًا بـرؤيـاهُ

الأسود بن يزيد :

ولمّا احتُضر الأسود بن يزيد بكى ، فقيل له : ما هذا الجزَعُ ؟ قال : ما لي لا أجزعُ ؟! ومن أحقُّ بذلك مني ؟! والله لو أُتيتُ بالمغفرةِ من الله عز وجل لأهمَّني الحياء منه مما قد صنعتُ ؛ إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ، ولا يزالُ مستحييًا منه .

يا حسرةَ العاصينَ عند معادِهمْ ... هذا وإنْ قدِموا علىٰ الجنَّاتِ

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

لو لم يكنْ إلّا الحياء مِنَ الذي ستر القبيحَ فيا لها الحسـراتِ

قال الحسن : « لو لم نبكِ إلّا للحياء من ذلك المقام ، لكان ينبغي لنا أن نبكي فنُطيل البكاء » .

إمام أهلِ السنة أحمد بن حنبل :

دخل عليه أبو حامد الخلقاني فأنشده هذه الأبيات :

إذا مـا قـالَ لـي ربِّـي أمَـا استحيْيـتَ تعصيني
وتُخفي الذنبَ مِن خَلْقي وبالعِصْيـانِ تـأتيـني
فمـا قـولـي لـهُ لـمَّا يُعـاتبني ويُقْصِيني

فأمره أحمد بإعادتها ، فأعادها عليه ، فدخل أحمد داره ، وجعل يردِّدها ويبكي .

٢ - حياءُ التقصِير :

كحياء الملائكة الذين يسبِّحون الليل والنهار لا يفتُرون ، فإذا كان يوم القيامة قالوا : سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك .

٣ - حياءُ الإجْلال :

هو حياء المعرفة ، وعلى حسَب معرفة العبد بربِّه يكون حياؤه منه .

ومنه حياء عمرو بن العاص رضي الله عنه ؛ كان يقول : « والله ، إن كنتُ لأشدّ الناس حياءً من رسول الله ﷺ ، فما ملأتُ عينيَّ من رسول الله ﷺ ، ولا راجعتُه بما أُريد ، حتى لحِقَ بالله عز وجل ؛ حياءً منه »(١) .

وفي رواية : « إنه لم يكن شخص أبغضَ إليَّ منه - يعني النبي ﷺ - فلمَّا أسلمتُ لم يكن شخصٌ أحبَّ إليَّ منه ، ولا أجلَّ في عينيَّ منه ، ولو سُئلت

---

(١) مسند الإمام أحمد ٤/٢٠٤ .

أن أصِفَه لكم لما أطقتُ ، لأني لم أكن أملأ عينيّ إجلالًا له » .

أشتاقهُ فإذا بدَا أطرقتُ من إجلالِهِ
لا خيفةً بل هيْبةً وصيانةً لجمالـهِ
الموتُ في إدبارِهِ والعيْشُ في إقبالـهِ
وأصدُّ عنه إذا بدَا وأرومُ طيْفَ خيالِهِ

ومنه : حياءُ ابن عمر إجلالًا لكبار الصحابة ممَّن هم أسنُّ منه : فعن عبد الله ابن عمر ؛أن رسول الله ﷺ قال : « إن من الشجر شجرة لا يسقُط ورقُها ، وهي مَثَلُ المسلم ، حدِّثوني ما هي ؟ » فوقع الناس في شجر البادية ، ووقع في نفسي أنها النخلة . قال عبد الله : فاستحييتُ ، فقالوا : يا رسول الله ، أخبِرْنا بها . فقال رسول الله ﷺ : «هي النخلة » . قال عبد الله : فحدَّثتُ أبي بما وقع في نفسي ، فقال : لَأَنْ تكون قلتَها أحبُّ إليّ من أن يكون لي كذا وكذا[١] .

وكان الإمام الجليل سفيان الثوري رحمه الله شديدَ الحياء ، وقال الإمام ابن مهدي رحمه الله : « ما كنتُ أقدر أن أنظر إلى سفيان استحياءً وهيبةً منه » . ومع ذلك فكان في مواقع الحميَّة والغضب لدين الله عز وجل لا يعرف الاستحياء في الحق ، حتى قال يحيىٰ بن أبي غنية : « ما رأيتُ رجلًا قطُّ أصفق وجهًا في الله عزَّ وجل[٢] من سفيان الثوري » .

وأنكر مرة على المهدي بعض الأمور ، واشتدَّ في الإنكار ، حتى قال له وزير المهدي : « شططتَ ؛ تكلِّم أمير المؤمنين بمثل هذا ؟! » . فقال له سفيان : « اسكتْ ، ما أهلك فرعونَ إلّا هامانُ » . فلمَّا ولَّى سفيان ، قال أبو عبيد الله : «يا أمير المؤمنين ، ائذنْ لي أضرب عنقه». فقال له: « اسكتْ ،

(١) رواه البخاري .
(٢) أصفق وجهًا : أي لا يجامل ولا يداري .

ما بقي على وجه الأرض من يُستحيا منه غير هذا » .

٤ - حياءُ الكَرَم :

كحياءِ النبي ﷺ من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب ، وطوَّلوا الجلوسَ عنده ، فقام واستَحْيا أن يقول لهم : انصرفوا ، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولا مستأنسينَ لحديثٍ** ﴾. [الأحزاب : ٥٣] .

٥ - حياءُ الحِشْمَة :

كحياء عليّ بن أبي طالب أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي ، لمكان ابنته منه : عن علي رضي الله عنه قال : كنتُ رجلًا مذَّاءً ، فأمرتُ المقداد أن يسأل النبي ﷺ فسأله ، فقال : « فيه الوضوء » . ولفظه في رواية أخرى : كنتُ رجلًا مذاءً ، فأمرتُ رجلًا أن يسأل النبي ﷺ - لمكان ابنته - فسأل ، فقال :« توضَّأ واغسلْ ذَكَرَك »[١] .

٦ - حياء الاستحقار واستصغار النفس :

كحياء العبد من ربِّه عز وجل حين يسأله حوائجه ، احتقارًا لشأن نفسه، واستصغارًا لها . وفي أَثَرٍ إسرائيلي: « أَنَّ موسى عليه السلام قال : يا ربِّ إنه لَتَعْرِض لي الحاجة من الدنيا ، فأستحيي أن أسألك إياها يا ربِّ . فقال الله تعالى : سلْني ... حتى ملحَ عجينتك ، وعَلَف شاتك » .

وقد يكون لهذا النوع سببان :

أحدهما : استحقار السائل نفسه واستعظام ذنوبه وخطاياه .

الثاني : استعظام مسئولِهِ .

وكحال مَن قال : إني لَأَستحيي أن أسأل ربي الدنيا وهو مالكها ،

---

(١) رواه البخاري واللفظ له ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن خزيمة .

فكيف أسألها غير مالكها .

٧ - حياءُ المحبَّة :

هو حياء المحبّ من محبوبه ، حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته ؛ هاجَ الحياء من قلبه وأحسَّ به في وجهه ولا يدري ما سببه ، وكذلك يعرض للمحبِّ عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له : روعةٌ شديدة . ولا ريب أن للمحبَّة سلطانًا قاهرًا للقلب أعظم من سلطان مَن يقهر البدَن ، فأين مَن يقهر قلبك وروحك إلى من يقهر بدنك ؟! ولذلك تعجبتِ الملوك والجبابرة من قهْرهم للخلْق وقهْرِ المحبوبِ لهم ، وذلّهم له ، فإذا فاجأ المحبوب محبَّه ، ورآه بغتةً ؛ أحسَّ القلب بهجوم سلطانه عليه ، فاعتراه روعة وخوف .

يقول الشاعر :

فما هو إلَّا أنْ أراها فجاءةً ... فأُبهَتُ حتى ما أكادُ أُجيبُ
وإني لَتَعْروني لذِكْراك هِزَّةٌ ... لها بينَ جلْدي والعظامِ دَبيبُ

أو كما قال الشاعر :

فيعثرُ ما بينَ الكلامِ ورجْعِهِ ... لساني بِكُمْ حتَّى ينمَّ بحالي

٨ - حياءُ العبودية :

هو حياء ممتزَج من محبَّة وخوف ، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده ، وأن قدْرَه أعلى وأجلّ منها ، فعبوديته له تستوجب استحياءه منه، لا محالة .

٩ - حياء الشرَف والعِزَّة :

أما حياء الشرف والعزَّة : فَحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها ؛ من بذْلٍ أو عطاء وإحسان ؛ فإنه يستحيي - مع بذله - حياءَ شرفِ نفسٍ وعزة ؛ وهذا له سببان :

أحدهما : هذا . **والثاني** : استحياؤه من الآخِذ ، حتى كأنه هو الآخِذ السائل ؛ حتى إن بعض أهل الكرم لا تُطاوعه نفسه بمواجهته لمن يُعطيه حياءً منه ، وهذا يدخل في حياء التلوُّم ؛ لأنه يستحيي من خجلة الآخِذ .

١٠ - حياءُ المرءِ مِن نفسه :

وأما حياء المرء من نفسه : فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقْص ، وقناعتها بالدُّون ، فيجد نفسه مُسْتَحْيِيًا من نفسه حتى كأن له نفْسين ، يستحيي بإحداهما من الأخرى ، وهذا أكمل ما يكون من الحياء ؛ فإن العبد إذا استْحيا من نفسه ، فهو بأن يستحيي من غيره أجدر[1] .

درجاتُ الحياءِ :

قال صاحب « المنازل » : « وهو على ثلاثِ درجات :

الدرجة الأولى : حياءٌ يتولَّد مِن علْمِ العبدِ بنَظَرِ الحقِّ إليه ؛ فيجذبه إلى تحمُّل هذه المجاهدة ، ويحمله على استقباحِ الجناية ، ويُسْكِتهُ عن الشكوى »:

قال ابن القيم في شرح هذه الدرجة : « يعني : أن العبد متي علم أن الربَّ تعالى ناظر إليه ، أورثه هذا العلم حياءً منه ، يجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة ؛ مثل العبد إذا عمل الشغل بين يدي سيِّده ؛ فإنه يكون نشيطًا فيه محتملًا لأعبائه ، ولا سيَّما مع الإحسان من سيده إليه ، ومحبته لسيده ؛ بخلاف ما إذا كان غائبًا عن سيده . والرب تعالى لا يغيب نظرُه عن عبده ، ولكن يغيب نظَرُ القلْب والتفاتُه إلى نظَرِه سبحانه إلى العبيد ؛ فإن القلب إذا غاب نظرُه ، وَقَلَّ التفاته إلى نظر الله تبارك وتعالى إليه ؛ تولَّد من ذلك قلة الحياء والقِحَة .

(١) انظر : مدارج السالكين ٢/٢٦١ - ٢٦٣ .

وكذلك يحمله على استقباح جنايته ، وهذا الاستقباح الحاصل بالحياء قدْرٌ زائد على استقباح ملاحظة الوعيد ، وهو فوقه .

وأرفع منه درجةً : الاستقباحُ الحاصل عن المحبَّة . فاستقباح المحبِّ أتمُّ من استقباح الخائف. ولذلك فإن هذا الحياء يكفُّ العبد أن يشتكي لغير الله ، فيكون قد شكا اللهَ إلى خلقه ، ولا يمنع الشكوىٰ إليه سبحانه ؛ فإن الشكوى إليه سبحانه فقر وذلَّة ، وفاقة وعبودية، فالحياء منه في مثل ذلك لا يُنافيها »[(١)].

« الدرجة الثانية : حياء يتولَّد مِن النظر في علْمِ القُرْب ، فيدعوه إلى رُكوب المحبَّة ، ويربطه بروح الأُنْس ، ويُكرِّهُ إليه ملابسة الخلْق » :

قال ابن القيم : « النظر في علم القرْب : تحقق القلب بالمعيَّة الخاصَّة مع الله ؛ فإن المعية نوعان :

عامَّة : وهي: معيَّة العلم والإحاطة ؛ كقوله تعالى : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** ﴾ [الحديد : ٤] . وقوله : ﴿ **ما يكون من نجوىٰ ثلاثةٍ إلَّا هو رابعهم ولا خمسةٍ إلَّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلَّا هو معهم أينما كانوا** ﴾ . [المجادلة : ٧] .

وخاصّة : وهي معيَّة القرْب ؛ كقوله تعالى : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ [النحل : ١٣٨] . وقوله : ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ [البقرة : ١٥٣] . وقوله : ﴿ **وإن الله لَمَعَ المحسنين** ﴾ [العنكبوت : ٦٩] .

فهـذه معيَّة قُرْبٍ تتضمن الموالاة والنصر والحِفظ ، وكلا المعنييْن مصاحبة منه للعبد ، لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة ، وهذه مصاحبة موالاة

---

(١) مدارج السالكين ٢/٢٦٤ - ٢٦٥ .

ونصر وإعانة . فـ « مع » في لغة العرب : تفيد الصحبة اللائقة ، لا تُشعر بامتزاج ولا اختلاط ، ولا مجاورة ولا مجانبة . فمن ظنَّ منها شيئًا من هذا فمن سُوءِ فهْمه أُتي .

وأما القرْب : فلا يقع في القرآن إلَّا خاصًّا ؛ وهو نوعان : قربه من داعيه بالإجابة . وقربه من عابده بالإثابة .

فالأول : كقوله تعالى : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الدَّاعِ إذا دعانِ** ﴾ [البقرة : ١٨٦]. ولهذا نزلت جوابًا للصحابة رضي الله عنهم . وقد سألوا رسول الله ﷺ : ربُّنا قريب فنناجيه ، أم بعيد فنناديه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

والثاني : قوله ﷺ : « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وأقرب ما يكون الربُّ من عبده : في جوف الليل » . فهذا قربه من أهل طاعته .

وفي الصحيح : عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال : « كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فارتفعت أصواتنا بالتكبير ، فقال : « يا أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم ؛ إنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا ، إن الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب إلى أحدكم من عُنق راحلته » .

فهذا قرب خاصٌّ بالداعي دعاء العبادة والثناء والحمد ، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينة الربِّ لخلْقه ، واستواءه على عرشه . بل يجامعه ويلازمه ؛ فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض ؛ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، ولكنه نوع آخر ، والعبد في الشاهد يجد روحه قريبة جدًّا من محبوبٍ بينه وبينه مفاوز تتقطع فيها أعناق المطي ، ويجده أقرب إليه من جليسه . كما قيل :

ألا رُبَّ مَن يدنو ويزعُمُ أنَّهُ　　يحبُّك والنائي أحبُّ وأقربُ

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته وأحبَّاؤه ، الذين هو عندهم

أولى بهم من أنفسهم ، وأحبُّ إليهم منها : يجدون نفوسَهم أقرب إليه ، وهم في الأقطار النائية عنه من جيران حجرته في المدينة . والمحبُّون المشتاقون للكعبة والبيت الحرام يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومَن حولها . هذا مع عدم تأتِّي القرْب منها ، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء ، وهو مستوٍ على عرشه . وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهةِ معطِّل بعيد من الله ، خَليٍّ من محبَّته ومعرفته .

والقصد : أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبَّة ، وكلما ازداد حبًّا ازداد قربًا ، فالمحبَّة بين قربيْن : قرب قبلها ، وقرب بعدها . وبين معرفتين : معرفة قبلها حمَلَت عليها ، ودعَتْ إليها ، ودَلَّت عليها . ومعرفة بعدها ، هي من نتائجها وآثارها .

وأما ربطه بروح الأُنس : فهو تعلُّق قلبه بروح الأنس بالله ، تعلُّقًا لازمًا لا يفارقه ، بل يجعل بين القلب والأنس رابطة لازمة ، ولا ريب أن هذا يُكَرِّه إليه ملابسة الخلْق ، بل يجد الوحشة في ملابستهم بقدْر أُنسه بربِّه ، وقرَّة عيْنه بحبِّه وقربه منه ، فإنه ليس مع الله غيره ؛ فإن لابسهم لابسهم برسمه دون سِرِّه ورُوحه وقلبه ، فقلبه وروحه في ملإ ، وبدنه ورسْمه في ملإ .

« الدرجة الثالثة : حياءٌ يتولَّد من شُهود الحضْرة ، وهي التي لا تشوبها هيْبَة ، ولا تقارنها تفرِقة ، ولا يُوقف لها على غاية » :

قال ابن القيم : « شهود الحضرة : انجذاب الروح والقلب من الكائنات ، وعُكوفه على ربِّ البريَّات ؛ فهو في حضرة قرْبه مشاهدًا لها ، وإذا وصل القلبُ إليها غَشيِتْه الهيبةُ وزالت عنه التفرقة ؛ إذ ما مع الله سواه ، فلا يخطر بباله في تلك الحال سوى الله وحده ، وهذا مقام الجمعيَّة .

وأما قوله : « ولا يُوقف لها على غاية » : فيعني أن كلَّ مَن وصل إلى مطلوبه وظفر به ؛ وصل إلى الغاية ، إلّا صاحب هذا المشهد ؛ فإنه لا يقف

بحضرة الربوبية على غاية ، فإن ذلك مستحيل ، بل إذا شهد تلك الروابي ، ووقف على تلك الربوع ، وعايَن الحضرة التي هي غاية الغايات ، شارَف أمرًا لا غاية له ولا نهاية . والغايات والنهايات كلها إليه تنتهي ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾ [النجم : ٤٢] فانتهت إليه الغايات والنهايات . وليس له سبحانه غاية ولا نهاية ؛ لا في وجوده ، ولا في مزيد جوده ؛ إذ هو « الأول » الذي ليس قبله شيء ، و « الآخر » الذي ليس بعده شيء . ولا نهاية لحمده وعطائه ، بل كلما ازداد له العبد شكرًا زاده فضلًا ، وكلما ازداد له طاعة زاده لمجده مثوبة ، وكلَّما ازداد منه قربًا لاحَ له من جلاله وعظمته ما لم يشاهده قبل ذلك .. وهكذا أبدًا لا يقف على غاية ولا نهاية . ولهذا جاء : « إن أهل الجنة في مزيد دائم بلا انتهاء » ؛ فإن نعيمهم متصل ممن لا نهاية لفضْلِه ولا لعطائه ، ولا لمزيده ولا لأوصافه . فتبارك الله ذو الجلال والإكرام ؛ ﴿ **إن هذا لرزقُنا ما له من نفَاد** ﴾ [ص : ٥٤] (يا عبادي ، لو أن أوَّلَكُمْ وَآخِركم وإنسَكُم وَجِنَّكُمْ قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيتُ كل إنسان مسألته : ما نقص ذلك ممَّا عندي إلَّا كما ينقص المِخْيَطُ إذا أُدخل البحر) »[(١)] .

عالي الهمَّة مَن استْحيا من الله ومن الملائكة ، ومن نفسه ومن الناس :

عالي الهمة من كمُل حياؤه باستحيائه من الله عز وجل ، ثم الملائكة ، والناس ، ونفسه .

الاستحياءُ من الله عز وجل :

من استحيا من الناس أن يروه بقبيح ، دَعَاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربِّه أشدَّ ، فلا يضيِّع فريضة ، ولا يرتكب خطيئة ، لعلمه بأنَّ الله يرى ،

(١) مدارج السالكين ٢/ ٢٦٥ - ٢٦٨ .

وأنه لا بدَّ أن يقرِّره يوم القيامة على ما عمله ، فيخجل ويستحي من ربه .

عن ابن مسعود رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم لأصحابه : « استحيوا مِن الله حقَّ الحياء » . قالوا : إنا نستحيي يا رسول الله . قال : « ليس ذاكم[1] ، ولكن من اسْتحْيا من الله حقَّ الحياء ؛ فليحفظِ الرأس وما وعىٰ ، ولْيحفظِ البطنَ وما حوىٰ ، وليذكرِ الموت والبِلىٰ ، ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا . فمَن فعَل ذلك قدِ اسْتحْيا مِنَ الله حقَّ الحياء »[2] .

يحفظ الرأس وما وعىٰ : بجميع حواسِّه الظاهرة والباطنة ، فلا يستعملها إلا فيما يحلُّ .

ويحفظ البطن وما حوى : ما جمعه جوفه باتصاله به من القلب والفرْج واليديْن والرِّجليْن ، فلا يستعمل منها شيئًا في معصية الله عز وجل .

وليذكر الموت والبِلىٰ : فمن ذكَر الموت هانَ عليه ما فاته من اللَّذَّات العاجلة ، وأهمَّه ما يلزمه من طلب الآجلة ، وعمل على إجلال الله وتعظيمه .

ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا : فمَن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه ، استحياءً منه ، بحيث لا يرىٰ إلا إيَّاه .

يا مَن يُشيرُ إليهمُ المتكلِّمُ ... وإليهم يتوجَّه المتظلِّمُ
وشغلتمُ كَلمي بِكُمْ وجوارحي ... وجوانحي أبدًا تحنُّ إليكُمُ
وإذا نظرتُ فلسْتُ أنظر غيرَكُم ... وإذا سمعتُ فمنكمُ أو عنكمُ

---

(١) قال البيضاوي : « ليس حقّ الحياء من الله ما تحسبونه ، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عمَّا لا يرضاه من فعْل وقول » .

(٢) حسن : رواه أحمد (١/ ٣٨٧) ، والترمذي (٢٥٨٨) ، وقال : « هذا حديث غريب » . والحاكم (٤/٣٢٣) ، وصحَّحه ، ووافقه الذهبي ، وحسّنه الألباني في صحيح الترمذي ٢/٢٩٩ .

وإذا نطقتُ ففي صفاتِ جمالكمْ ... وإذا سألتُ الكائناتِ فعنكمُ
وإذا رَويتُ فمِنْ طَهُور شرابِكُمْ ... وبذكْرِكُمْ في خَلْوتي أترنَّمُ

وعن معاوية بن حيدة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذرُ ؟ قال : « احفظْ عورتَك إلّا من زوجتك أو ما ملكتْ يمينُك » . قلت : يا رسول الله ، إذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : « إن استطعتَ أن لا يرينَّها أحد ، فلا تُرِيَنَّها أحدًا » . قلت : يا رسول الله ، إذا كان أحدنا خاليًا ؟ قال : « اللهُ أحقُّ أن يُستحيا منه من الناس »(١) .

فإذا حَرَّض ﷺ على الستر في الخلوة تأدُّبًا مع الله عز وجل واستحياءً منه وهو أمر مختَلَف في وجوبه أو استحبابه – فكيفَ ينبغي أن يكون حياء الإنسان منه تعالى إذا فقده حيث أمره ، أو رآه حيث نهاه ؟!

فعالي الهمَّة أبعد الناس عن الذنوب ، لتيقُّنه بنظر الله عز وجل من فوق عرشه إليه ، وعلْمه أنَّ أيَّ ذنبٍ يفعله الإنسان دائر بيْن أمريْن : كفر وانسلاخ من الدين ، إن لم يؤمن بنظر الله إليه واطلاعه عليه . أو قلَّة الحياء ، إن أقدم على الذنب وهو يعلم نظر الله إليه .

قال أحد عبَّاد السلف : « يا ربّ ، أتراك ترحم مَن لم تقرَّ عيناه بالمعاصي حتى علم أن لا عيْن تراه غيرك » . نعم « لِمَ جعلته أهون الناظرين إليك ؟! » .

وقال بلال بن سعد : « لا تنظر إلى صغَر الخطيئة ، ولكن انظر إلى كبرياء مَن واجهْته بها » .

خلا رجل بامرأة فأرادها على الفاحشة ، فقالت له : انظرْ هل يرانا مِن

(١) حسن : رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي وحسّنه ، والحاكم وصحَّحه ، ووافقه الذهبي ، ورواه البيهقي ، وحسَّنه الألباني في آداب الزفاف ص١١٢ . وهو محمول على الندْب والكمال ، وليس على ظاهره المفيد الوجوب . والله أعلم . اهـ . من : الحياء خلق الإسلام ص٤٩ .

أحد ؟ فقال لها : ما يرانا إلَّا الكواكب.فقالت له : فأين مكوكبها ؟! .

الاستحياءُ مِنَ الملائكة :

« الحياء من أخلاق الملائكة ، كما يبين عنه حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرفوعًا : « ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة ؟! » . وعنها رضي الله عنها : أن جبريل عليه السلام امتنع من دخول بيت النبي ﷺ استحياءً منها ، فناداه بصوتٍ خَفِيٍّ ، وأجابه النبي ﷺ بصوت خفي ، ثم قال ﷺ : « ولم يكن لِيدخُل عليكِ ، وقد وضعتِ ثيابَكِ ، وظننتُ أن قد رَقَدتِ ، فكرهْتُ أن أوقظك .. »[1]. الحديث .

قال الإمام المحقِّق ابن قيم الجوزية رحمه الله : قال بعض الصحابة رضي الله عنهم : (إن معكم مَن لا يفارقكم ، فاستحيوا منهم ، وأكرموهم) . ولا ألأم ممَّن لا يستحيي من الكريم العظيم القدر ، ولا يُجِلُّه ولا يوقره ، وقد نبَّه سبحانه على هذا المعنى بقوله : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين * يعلمون ما تفعلون** ﴾ [الانفطار: ١٠- ١٢] . أي : استحيوا من هؤلاء الحافظين الكرام ، وأكرموهم ، وأجِلُّوهم أن يَرَوْا منكم ما تستحيون أن يراكم عليه مَن هو مثلكم ، والملائكة تتأذَّى مما يتأذى منه بنو آدم ، فإذا كان ابن آدم يتأذَّى ممن يفجُر ويعصي بين يديه ، وإن كان قد يعمل مثل عمله ، فما الظنُّ بأذى الملائكة الكرام الكاتبين ؟! والله المستعان »[2][3]. اهـ .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله تعالى : ﴿ **وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائق وشهيد** ﴾ [ق :٢١] ، قال : ما على أحدكم إذا خلا أن يقول : « اكتبْ ؛

---

(١) أصل الحديث أخرجه مسلم والنسائي وأحمد .

(٢، ٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص١٢٧ - ١٢٨ ، و « الحياء » للشيخ محمد إسماعيل ص٣٣ .

رحمك الله ».فيملي خيرًا ؟! .

وكان أحدهم إذا خلا يقول : أهلًا بملائكةِ ربي .. لا أعدمكم اليوم خيرًا ، خذوا على بركة الله ... ثم يبدأ في ذكره : سبحان الله ، والحمد لله ...

الاستحياء من النَّفْس :

من اسْتَحْيا من الناس ، ولم يستحي من نفسه ؛ فنفسه أَخَسُّ عنده من غيره ؛ لأنه يراها أحقرَ من أن يَستحيي منها . ومن اسْتَحْيا منها ، ولم يستحي من الله ، فلعدم معرفته بالله عز وجل ، فمِن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ للرجل الذي استوصاه : « أُوصيك أن تستحييَ من الله كما تستحيي من الرجل الصالح من قومك »[1] .

فحقُّ الإنسان إذا هَمَّ بقبيح أن يتصور أحدًا من نفسه كأنه يراه ، فالإنسان يستحيي ممن يكبرُ في نفسه ، ولذلك لا يستحيي من الحيوان ، ولا من الأطفال ، ولا من الذين لا يميِّزون ، ويستحيي من العالِم أكثر مما يستحيي من الجاهل ، ومن الجماعة أكثر مما يستحيي من الواحد ، وينبغي على الإنسان إذا كبرتْ عنده نفسُه ، أن يكون استحياؤه منها أكثر من استحيائه من غيره ، ومن ثَمَّ قال بعض السلف : « من عمل في السرِّ عملًا يَسْتَحْيي منه في العلانية ، فليس لنفسِهِ عنده قدْرٌ » .

---

(١) إسناده جيد : رواه أحمد في : الزهد ص٣٦ ، والخرائطي في مكارم الأخلاق ؛ من حديث سعيد بن يزيد ، وقال الألباني : « إسناده جيد ، رجاله كلهم ثقات . على خلاف في صحبة سعيد بن يزيد ، وهو ابن الأزور ، وقد أثبتها له أبو الخير هذا – يعني مرثد الراوي عن سعيد – وهو أدرى بها من غيره » . اهـ . من : الصحيحة رقم ٧٤١ .

الاستحياء من الناس :

الحياء من الناس خلُق حسَن جميل ، يمنع من المعايب ، ويشيع الخير والعفاف ، ويُعوّد النفس ركوب الخصال المحمودة .

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : « لا خير فيمن لا يستحيي من الناس » .

وقال بعضهم : « أَحْيِ حياءك بمجالسةِ مَن يُستَحْيَا منه » .

وقال مجاهد : « لو أن المسلم لم يصِبْ من أخيه إلّا أنَّ حياءَه منه يمنعه من المعاصي لَكفاه » .

فلا أحد من الفسقة إلا وهو يستحيي من عمل القبيح على أعين أهل الصلاح وذوي الهيئات والفضل أن يراه وهو فاعله ، والله مطَّلع على جميع أفعال خلقه ، فالعبد إذا استحيا من ربه استحياءه من رجل صالح من قومه ، تجنَّب جميع المعاصي ، فيا لها من وصية ما أبلغها ! وموعظة ما أجمعها !! .

وقد نصَّب النبي ﷺ هذا الحياء حَكَمًا على أفعال المرء ، وجعله ضابطًا وميزانًا ؛ فعَنْ النَّواس بن سمعان رضي الله عنه ، أنه سأل رسول الله ﷺ عن البِرّ والإثم ، فقال رسول الله ﷺ : « البِرُّ : حسن الخُلُق ، والإثم : ما حاك في صدرك[1]، وكرِهتَ أن يطَّلِعَ عليه الناس »[2] .

وقال ﷺ : « ما كرهت أن يراه الناس ، فلا تفعلْه إذا خلوت »[3].

وأعظم الناس قدْرًا عند عالي الهمَّة : رسول الله ﷺ ، فيستحي الرجل

(١) تحرّك فيه وتردَّد ، ولم ينشرح له الصدر .

(٢) أخرجه مسلم والترمذي وأحمد .

(٣) حسن : رواه ابن حبان في : روضة العقلاء ص٢٦ ، والضياء في : المختارة (١/ ٤٤٩) وغيرهما ، وحسَّنه الألباني في الصحيحة رقم (١٠٥٥) .

أن يفعل ما يَشين وهو ينتسب إلى من زيَّن البشرية ﷺ ، وإلَّا فالموعد الحوْض ... ويا له من موقف يقطع نياط القلوب الطاهرة قبل الوجوه .

عن جعفر الصائغ قال : « كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل رجلٌ ممَّن يمارس المعاصي والقاذورات ، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلِّم عليه ، فكأنَّ أحمد لم يردّ عليه ردًّا تامًّا وانقبض منه ، فقال له : يا أبا عبد الله ، لِمَ تنقبض مني ؟! فإني قد انتقلتُ عمّا كنت تعهدني ، برؤيا رأيتُها . قال : وأيّ شيءٍ رأيتَ ؟ قال : رأيتُ النبي ﷺ في النوم كأنَّه على علوٍّ مِنَ الأرض وناسٌ كثير أسفلَ جلوسٌ . قال : فيقوم رجل رجل منهم إليه ، فيقول : ادعُ لي . فيدعو له ، حتى لم يبقَ مِن القوم غيري . قال : فأردتُ أن أقوم فاستحييتُ من قبيح ما كنتُ عليه ، قال لي : يا فلان ! لِمَ لا تقومُ إليّ فتسألني أن أدعوَ لك ؟ قال : قلتُ : يا رسول الله ، يقطعني الحياءُ لقبيح ما أنا عليه . فقال : إنْ كان يقطعك الحياء فقمْ فسلني أدعُ لك ؛ فإنك لا تسبّ أحدًا من أصحابي . قال : فقمتُ فدعا لي ، فانتبهتُ وقد بغَّضَ الله إليّ ما كنتُ عليه . قال : فقال لنا أبو عبد الله : يا جعفر ، يا فلان ، حدِّثوا بهذا واحفظوه ؛ فإنه ينفع »[1] .

وعالي الهمَّة يستحي من صالحي الأمة ، وله في حكايات التوابين إشارات :

قال أبو الفتح بن مخرق : « تعلَّق رجل بامرأة من بنات الشام ، فتعرّض لها وبيده سكِّين، لا يدنو منه أحد إلا عَقَرَه ، وكان الرجل شديدَ البدن ، فبينا الناس كذلك ، والمرأة تصيح من يده ، إذْ مرّ بشْرُ بن الحارث الحافي ، فدنا منه وحكَّ كَتِفه بكتف الرجل ، فوقع الرجل إلى الأرض ، ومضى بِشْرٌ ، فدنوْا

(١) كتاب التوابين لابن قدامة ص٢٦٤ - ٢٦٥ .

من الرجل وهو يرشح عرقًا كثيرًا ، ومضتِ المرأة بحالها ، فسألوه : ما حالك ؟ فقال : ما أدري ، ولكني حاكّني شيخٌ وقال : إن الله ناظر إليك وإلى ما تعمل ؛ فضعفتْ لقوله قدميَّ وهِبْتُهُ هيبة شديدة ، لا أدري مَن ذاك الرجل . فقالوا له : ذاك بشر بن الحارث . فقال : واسوءَتاه !! كيف ينظر إليّ بعد اليوم ؟! وحُمَّ الرجل من يومه ، ومات اليوم السابع »[1] .

نهايةُ الحياءِ وكمالُه أن لا تستحيي من الحقِّ :

قال سفيان بن عيينة رحمه الله : « إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر ، وعليه تعرض الأشياء ، على خُلُقه وسيرته وهدْيه ، فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل » .

وقال القرطبي رحمه الله : « قد كان المصطفى ﷺ يأخذ نفسه بالحياء ويأمر به ، ويحثُّ عليه ، ومع ذلك فلا يمنعه الحياء من حقٍّ يقوله ، أو أمر ديني يفعله ، تمسُّكًا بقوله : ﴿ **والله لا يستحيي من الحقِّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] . وهذا هو نهاية الحياء وكماله ، وحُسْنه واعتداله ؛ فإن مَن فرطَ عليه الحياءُ حتى منعه من الحق ، فقد ترك الحياء من الخالق ، واسْتحْيا من الخلْق ، ومن كان هكذا حُرِم منافعَ الحياء ، واتصف بالنفاق والرياء . والحياء من الله هو الأصل والأساس ، فإن الله أحقُّ أن يُستَحْيا منه ، فليُحْفظ هذا الأصل ، فإنه نافع »[2] .

« إن ترك الحياء في النصح والأمر والنهي الشرعيّين : من النعوت الإلهية ؛ قال تعالى : ﴿ **والله لا يستحيي من الحق** ﴾ . والذي يتهيَّب تقريع المبطلين لا يُعتبر حَييًّا ، ففي موقف الانتصار للحقّ ، وفضح العقائد الفاسدة ، والتهوين

---

(١) كتاب التوابين ص٢١٣ .

(٢) نقله عنه المناوي في فيض القدير ٤٨٧/١ .

من شأن الآلهة المزيَّفةِ؛قال تبارك وتعالى : ﴿ **يأيُّها الناسُ ضُرِبَ مثَلٌ فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لنْ يخلقُوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإنْ يَسْلُبهم الذبابُ شيئًا لا يستنقذوه منه ضعُفَ الطالبُ والمطلوب** ﴾ [الحج : ٧٣] . وبعد أن حقَّر آلهتهم ، وفضح عجزها عن خلْق ذبابةٍ ، بل عن حماية نفسها إذا هاجمتْها ذبابة؛قال تبارك وتعالى : ﴿ **إنَّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها** ﴾ [البقرة : ٢٦].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يمنعنَّ رجلًا هيبةُ الناسِ أن يقولَ بحقٍّ إذا عَلِمَه ، أو شهده ، أو سمعه »(١).

وقال عُبيد بن عمير : « آثروا الحياءَ من الله على الحياءِ مِن الناس » .

أبو أيوب الأنصاري وفهْمُه السليمُ لكمال الحياء :

عن سالم بن عبد الله قال : « أعرستُ في عهد أبي ، فآذن أبي الناس ، وكان أبو أيوب فيمن آذنَّا ، وقد ستروا بيتي بنجادٍ(٢) أخضر ، فأقبل أبو أيوب فدخل ، فرآني قائمًا ، واطَّلع فرأى البيت مستترًا بنجادٍ أخضر ، فقال : يا عبد الله ، أتسترون الجُدُر ؟! قال أبي - واسْتَحْيا -: غلبَنَا النساء أبا أيوب !! فقال : مَن كنتُ أخشى أن تغلبنَّه النساء ، فلم أكن أخشى عليك أن تغلبنَّك !! ثم قال : لا أطعم لكم طعامًا ، ولا أدخل لكم بيتًا . ثم خرج رحمه الله »(٣) .

---

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجه والحاكم وأحمد ، وصححه الألباني في الصحيحة رقم ١٦٨ .

(٢) النجاد بكسر النون : جمع (نجْد) وهو ما يزيَّن به البيت من البُسطِ والوسائد والفُرُش .

(٣) آداب الزفاف للألباني ص٢٠١ .

وإلى هذا المقام - ترك الاستحياء من الحقّ - قال الشاعر :

تـرْكُ الحياءِ تحـقُّقٌ وتخلُّـقٌ   جاءتْ به الآياتُ في القرآنِ
فله النفاسـةُ والنزاهـةُ عندنا   إذْ لا نخاف بمنزلِ العـدوانِ
فهوَ الكمالُ لمَن تحقَّقَ حالةَ الْـ   إسلامِ والإيمانِ والإحسـانِ
هٰذي هيَ الدنيا وأنت إمامُها   وعبيدُها بالنقصِ والرجـحَانِ

أمثلةٌ عَطِرة في عُلُوِّ الهمَّة في الحياء :

حياءُ كليمِ اللهِ موسىٰ عليه السلام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن موسىٰ كان رجلًا حييًّا ستِّيرًا ، لا يُرى من جلْده شيء ، استحياءً منه »[(١)].

وقد كان الحياء شريعة الأنبياء ؛ فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إنّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأُولى : إذا لم تستحِ ، فاصنعْ ما شئتَ »[(٢)] .

حياءُ رَسـولِ الله ﷺ :

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها ، فإذا رأىٰ شيئا كِرِهَهُ ، عرفناه في وجهه »[(٣)] .

(١) رواه البخاري وأحمد والترمذي .

(٢) رواه البخاري ، والبغوي في : شرح السنة ، وعبد الرزاق .

(٣) رواه البخاري ومسلم . « والخِدر : ناحية البيت يُلْقىٰ عليه سِتْر ، فتكون فيه الجارية البكر ، والعذراءُ إذا كانت متربية في سترها ؛ تكون أشدَّ حياءً ؛ لتستُّرها حتى عن النساء ، بخلاف الداخلة الخارجة . والمراد بالحديث : الحالة التي تعتريها عند دخول أحد عليها فيه » . اهـ . من رسالة : الحياء صـ : ٢٤ . للشيخ محمد إسماعيل المقدّم حفظه الله .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « سألتِ امرأةٌ النبي ﷺ : كيف تغتسل من حيضتها ؟ قالت : فذكرتْ أنَّه علَّمها كيفَ تغتسل ، ثم تأْخذ فِرْصَةً من مِسْك فتطهّرَ بها . قالت : كيف أتطهَّر بها ؟ قال : تطهَّري بها ، سبحان الله !! » . واستتر بيده على وجهه . قالت عائشة : واجتذبتُها إليّ ، وعرفتُ ما أراد النبي ﷺ ، فقلتُ : تتبَّعي بها أثَر الدم[1].

لقد « كان حياءُ رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه ، وكان إذا كرِه شيئًا لا يتكلَّم به ؛ لحيائه ﷺ ، بل يتغيّر وجهه ، فيفهم الصحابة رضي الله عنهم كراهته . فما أكرمَ خلُقه ﷺ !! »[2].

أمّا حياؤه من ربِّه :

فما رواه مالك بن صَعصعة رضي الله عنه : من تردُّد النبي ﷺ بين ربِّه وبين موسى عليه السلام وسؤاله ربَّه التخفيفَ حتى جعلها خمسًا ، فقال له موسى عليه السلام : « ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيفَ لأمتك » . قال : « سألتُ ربي حتى استحييتُ ، ولكن أرضىٰ وأُسلِّم »[3].

قال أبو دهبل الجمحي يمدح رسول الله ﷺ :

إنَّ البيوتَ معادنٌ فنِجارُهُ ... ذَهَبٌ وكُلُّ بُيوتِهِ ضَخْمُ
عَقِمَ النساءُ فلنْ يلدنَ شبيهَهُ ... إنَّ النساءَ بمثلِهِ عُقْمُ
مُتَهَلِّلٌ بـ «نَعَمْ» بـ «لا» متباعدٌ ... سِيَّان منهُ الوفْرُ والعُدْمُ
نَزْرُ الكلامِ من الحياءِ تخالُهُ ... سَقِمًا وليسَ بجسمِهِ سُقْمُ[4]

---

(١) رواه مسلم .

(٢) الحياء للشيخ محمد إسماعيل المقدم ص٢٤ - ٢٥ ، دار الدعوة السلفية .

(٣) انظر : البخاري ٥/٦٦ ، وشرح النووي ٢/٢٠٩ - ٢١٥ .

(٤) ديوان الحماسة لأبي تمام ٢/٥٢٤ - طبع : الهيئة العامة لقصور الثقافة .

حَيَـاءُ الصَّحابة رضي الله عنهم :

حيَـاءُ عثمان ذي النورين ، أميرُ البَررة وقتيل الفَجَرة ، رضي الله عنه :

لقد اختصَّ الله عز وجل عثمان بن عفان رضي الله عنه بمزية خاصَّة في هذا الخُلق الكريم .

عن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي ، كاشفًا عن فخِذَيْه ، أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر ، فأذن له ، وهو على تلك الحال ، فتحدَّث ، ثم استأذن عمر فأذن له ، وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمان ، فجلس رسول الله ﷺ ، وسوّى ثيابه[1]، فدخل فتحدَّث ، فلمَّا خرج قالت عائشة رضي الله عنها : دخل أبو بكر فلم تَهْتشَّ له ، ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتشَّ له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك !! فقال : « ألا أستحي من رجل تستحِي منه الملائكة ؟! »[2] وفي رواية : أنه قال ﷺ : « إن عثمان رجل حييٌّ ، وإني خشيتُ ، إن أذِنتُ له على تلك الحال ، أن لا يبلغ إليّ في حاجته » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « الحياءُ من الإيمان، وأحْيَىٰ أمتي : عثمان »[3] .

وذكر الحسن البصري عثمانَ رضي الله عنه وحياءَه ؛ فقال : « إنْ كان لَيكون في البيت ، والباب عليه مُغْلَق ، فما يضع عنه الثوْب ليفيض عليه الماء ، يمنعه الحياءُ أن يُقيم صُلْبه » .

---

(١) قال محمد – أحد الرواة –: ولا أقول : ذلك في يومٍ واحد .

(٢) رواه مسلم .

(٣) صحيح : رواه ابن عساكر ، وصحّحه الألباني في : الصحيحة رقم ١٨٢٨ .

الصِّدِّيق رضي الله عنه :

خطب الصديق في المسلمين فقال : « أيُّها الناس ، استحيُوا من الله ؟ فوالله ما خرجتُ لحاجة منذ بايعتُ رسولَ الله ﷺ أريد الغائط ، إلّا وأنا مُقَنِّع رأسي حياءً من الله »[(١)] .

الفاروق رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه : « مَن قَلَّ حياؤه قَلّ ورَعه ، ومَن قَلّ ورعه مات قلبه » . وقال : « من استحيا استخفى ، ومَنِ استخفى اتقى ، ومن اتقى وُقي »[(٢)] .

أبو موسى الأشعري رضي الله عنه :

قال رضي الله عنه : « إني لأغتسل في البيت المظْلِم ، فما أقيم صلبي حتى آخذ ثوبي ، حياءً من ربي عز وجل » .

وعن قتادة قال : كان أبو موسى إذا اغتسل في بيت مظلم تجاذَب ، وحنى ظهْرَه ، حتى يأخذ ثوبه ، ولا ينتصب قائمًا .

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه إذا نام لبِسَ ثيابًا عند النوم مخافة أن تنكشِف عوْرته .

وعن عبادة بن نسي قال : رأى أبو موسى قومًا يقفون في الماء بغير أُزُر ، فقال : « لَأَنْ أموتَ ثم أُنشَرَ ، ثم أموت ثم أنشَرَ ، ثم أموتَ ثم أنشَرَ ؛ أحبُّ إلّي من أن أفعل مثلَ هذا »[(٣)] .

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسْجد والنَّاسُ معه؛ إذْ أقبل ثلاثةُ نَفَرٍ ، فأقْبل اثْنان إلى رسول الله ﷺ

---

(١) ، (٢) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص٢٠ .

(٣) الحياء للشيخ محمد أحمد إسماعيل ص٢٩ .

وذهب واحد ، قال : فوقَفَا على رسول الله ﷺ ؛ فأمَّا أحدهما : فرأى فُرْجة في الحلْقة فجلس فيها ، وأما الآخر : فجلس خلفهم ، وأما الثالث : فأدبر ذاهبًا ، فلما فرَغ رسول الله ﷺ قال : « ألا أخبركم عن النفر الثلاثة ؟ أما أحدهم : فأوى إلى الله فآواه ، وأما الآخر : فاستحيا فاستحيا الله منه ، وأما الآخر : فأعرض فأعرض الله عنه »(١).

قال أبو عبد الله الأنطاكي : أفضل الأعمال : تَرْك المعاصي الباطنة . فقيل له : ولِمَ ذلك ؟ قال : « لأنَّ الباطنة إذا تركَتْ كان صاحبها للمعاصي الظاهرة أتْرَكَ » .

وكان أحد الزهاد يقول : « يا ويحي !! عاملتُ الناس بالأمانة ، وعاملتُ ربي بالخيانة ، فليتني عكستُ » . ثم يبكي .

محمد بن الفضل رحمه الله :

قال محمد بن الفضل : « ما خطوتُ أربعين سنة خطوةً لغير الله ، وأربعين سنة ما نظرتُ في شيء أستحسِنُه حياءً من الله » .

عامر بن عبد قيس رحمه الله :

قال الذهبي في « السير » (٤/١٧) : قال أبو عمران الجوني : قيل لعامر ابن عبد قيس : إنك تبيتُ خارجًا ، أمَا تخاف الأسد ؟ قال : إني لأستحيي من ربي أن أخاف شيئًا دونه .

وروى همَّام عن قتادة مثله .

أبو مسلم الخولاني رحمه الله :

قال أبو مسلم الخولاني : « من نعمة الله عليّ : أنني منذ ثلاثين سنة

---

(١) رواه البخاري وغيره .

ما فعلتُ شيئًا يُستحْيا منه ، إلّا قربي من أهلي » .

محمد بن سِيرين رحمه الله :

وعن محمد بن سيرين أنه رحمه الله قال : « ما غشيتُ امرأةً قطُّ ؛ لا في يقظة ولا في نوم غيرَ أمِّ عبد الله ، وإني لَأرىٰ المرأة في المنام ، فأعلم أنها لا تحلُّ لي ، فأصرف بصري » .

قال بعضهم : « ليتَ عقلي في اليقظة كعقل ابن سيرين في المنام » .

يَقَظاتُـهُ ومنامُـه شَـرَعٌ ... كُـلٌّ بكُـلٍّ فهْـوَ مشتَبِهُ
إنْ هـمَّ في حُلْمٍ بفاحشةٍ ... زجَرَتْـهُ عِفّتُـهُ فـينتبِـهُ

مقدّم الجيوشِ وفارسُ الكتائب : الجرَّاح :

أبو عقبة الجراح بن عبد الله ، الحَكَمي ، وكان بطلًا شجاعًا ، مهيبًا طُوالًا ، عابدًا قارئًا ، كبيرَ القدْر .

قال رحمه الله : « تركتُ الذنوب حياءً أربعين سنة ، ثم أدركني الوَرَع »[(١)].

والله لكأنه أولى الناس بقول ليلى الأخْيَلِيَّة :

فتـىً كانَ أحيا مِن فتـاةٍ حَيِـيَّةٍ ... وأشـجعَ من ليْثٍ بخفَّانَ[(٢)] خادِرِ

عمرو بن عُتْبة بن فرقد : مَثَلٌ رائع في عُلُوِّ الهمَّة في الحياء :

لله درُّه : « كان يخرج إلى العدو مع الناس فلا يتحارس الناس ؛ لكثرة صلاة عمرو .

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/١٨٩ - ١٩٠ .

(٢) خفان : موضع قرب الكوفة ، وهي مأسدة . والأسد الخادر : المقيم في عرينه وهو خدره .

رأوه ليلةً يصلي ، فسمعوا زئير الأسد فهربوا ، وهو قائم يصلّي فلم ينصرف ، فقالوا له : أما خِفْتَ الأسد ؟ فقال : إني لأستحي من الله أن أخاف شيئًا سواه »[١] .

ابنةُ الرجلِ الصالحِ الذي استضاف موسى عليه السلام :

مثال عالٍ في الحياءِ والطُّهْر للمرأة المسلمة .. ابنة رجل صالح ، تنحدر من بيت كريم ينضحُ بالعفاف والطهارة ، والصيانة وحسن التربية ، وكفاها علوّ همّةٍ في حيائها أن أثنىٰ عليها الله عز وجل ؛ قال تعالى : ﴿ **وجاءَتْه إحداهما تمشي على استحياءٍ قالتْ إن أبي يدعوك ليَجزيكَ أجر ما سقيتَ لنا فلما جاءه وقصَّ عليه القصَصَ قال لا تخفْ نجوتَ من القوم الظالمين** ﴾ [القصص : ٣٥] .

قال عمر رضي الله عنه : « ليستْ بسلفع[٢] من النساء خرّاجة ولّاجة ، ولكن جاءت مستترة ، قد وضعت كُمَّ دِرْعها على وجهها استحياءً »[٣] .

وفي رواية : « جاءت تمشي على استحياء ، قائلةً بثوبها على وجهها ، ليست بسلْفَع من النساء خرَّاجة ولَّاجة »[٤].

« تمشي على استحياء مشية الفتاة الطاهرة الفاضلة العفيفة حين تلقىٰ

---

(١) الحلية ١٥٦/٤ ، ١٥٧ ، ورهبان الليل ٣٦٦/١ .

(٢) امرأة سلفع : سليطة جريئة قليلة الحياء .

(٣) أخرجه الفريابي ، وابن أبي شيبة في « المصنف » ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، عن عمر رضي الله عنه ، كما في : الدر المنثور ١٢٤/٥ .

(٤) صحيح : ذكره ابن كثير من رواية ابن أبي حاتم ، وصححه في تفسير القرآن العظيم ٢٣٨/٦ .

الرجال .. « على استحياء » : في غير ما تبذُّل ولا تبرُّج ولا تبجُّح ، ولا إغواء ، جاءته لتُنهي إليه دعوة في أقصر لفظٍ وأخصره وأدلِّه »[١] .

ولله درُّ القائل :

قصيرةُ ألفاظٍ قصيرةُ بيتِها ومَن حفِظَتْه في مغيبٍ ومشْهَدِ

مِثْلُها قليلات .. فالمرأة الصالحة الحييَّة كالغراب الأعْصَمِ لا تكاد توجد .

يعزُّ على مَن يطرِقُ البابَ لفظُهَا جوابًا فلا عَقدًا تراهُ ولا حلَّا
يُطيل وُقوفًا لا يُجابُ محرَّمٌ عليها كلامُ الأجنبي وإن قلَّا

حياءُ أمِّ أَبيها فاطمةَ رضي الله عنها بنتِ رسول اللهِ ﷺ :

أتتْ فاطمة رضي الله عنها رسول الله ﷺ تسأله خادمًا ، فقال : « ما جاء بك يا بُنيّة ؟ » . فقالت : جئتُ أسلم عليك . واستحيَتْ ، حتى إذا كانت القابلة ، أتته فقالت مثلَ ذلك ... وفي بعض روايات هذه القصة : « أن رسول الله ﷺ جاءها وعليًّا ، وقد أخذا مضاجعهما ..» الحديث ، وفيه : « فجلس عند رأسها ، فأدخلتْ رأسَها في اللفاع ، حياءً من أبيها »[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ أتى فاطمة بعبدٍ قد وهبه لها ، قال : وعَلَى فاطمة رضي الله عنها ثوب ، إذا قنَّعتْ به رأسها ، لم يبلغ رجلَيْها ، وإذا غطَّتْ به رجليْها ، لم يبلغ رأسها ، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال : « إنه ليس عليك بأس ، إنما هو أبوك وغلامك »[٣] .

---

(١) الظلال للشيخ سيد قطب تفسير سورة القصص : ٢٥ .
(٢) رواه البخاري .
(٣) صحيح : أخرجه أبو داود ، والبيهقي ، وصححه الألباني في « الإرواء » ٦/٢٠٦ .

واللهِ لهي أولى الناس بقول مَن قال :

كأنَّ لها في الأرض نسيًا[(١)] تقصُّهُ[(٢)]   علىٰ أُمِّهـا وإنْ تحدثْـكَ تَـبْلـتِ

أي لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيئًا في الأرض .

حياء الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق رضي الله عنهما :

« عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : كنتُ أدخل البيت الذي دُفن فيه رسول الله ﷺ وأبي رضي الله عنه،واضعةً ثوبي ، وأقول : إنما هو زوجي وأبي . فلما دُفن عمر رضي الله عنه ، فوالله ما دخلتهُ إلّا مشدودةً عليّ ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه »[(٣)] .

لله درُّك أم المؤمنين !! حياءً حتى من الأموات .. هذا الحياء والله لا يكون إلا لأمِّ المؤمنين عائشة حبيبة رسول الله ﷺ .

فاطمةُ بنتُ عتبةَ رضي الله عنها :

جاءت فاطمة بنت عتبة رضي الله عنها تبايع رسول الله ﷺ ، فأخذ عليها : ﴿ **أن لا يشركْنَ بالله شيئًا ولا يسرقْنَ ولا يزنين** ﴾ [الممتحنة : ١٢]. فوضعت يدها على رأسها حياءً ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أقرّي أيتها المرأة ؛ فوالله ما بايعناه إلّا على هذا . قالت : فنعم إذن . فبايعها بالآية[(٤)].

---

(١) النّسْي : ما أضلّه أهلُه فيُطلب .

(٢) أي : تتبعه .

(٣) صحيح : رواه بنحوه الحاكم في : المستدرك ٤/٧ ، وصححه على شرط الشيخين ، وسكت عنه الذهبي .

(٤) رواه أحمد في : المسند ٦/١٥١ .

أقوالٌ عَطِرةٌ في الحيـاء :

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : الحياء رأس مكارم الأخلاق[1] .

« قال ابن عطاء : العلْم الأكبر : الهيْبة والحياء ؛ فإذا ذهبتِ الهيبة والحياء ، لم يبقَ فيه خير ؛ أي في القلب .

وقال ذو النون : الحياء وجود الهيْبة في القلب ، مع وحْشَةِ ما سبق منك إلى ربك تعالى .

وقال رحمه الله : الحُبُّ يُنطِق ، والحياء يُسكِت ، والخوف يُقلِق .

وقال أبو عثمان : من تكلم في الحياء ولا يستحي من الله عز وجل فيما يتكلّم به ؛ فهو مستَدْرَج .

وقال أبو العباس المؤدّب : قال السري : إنَّ الحياء والأنس يطرقان القلب ، فإن وجدا فيه الزهد والورع : حطَّا ، وإلَّا رَحَلَا .

وقال الجريري : تعامَلَ القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدِّين حتى رقَّ الدين ، ثم تعامَل القرنُ الثاني بالوفَاءِ حتى ذهب الوفاء ، ثم تعامَل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ، ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ، ثم صار الناس يتعاملون بالرغْبة والرهبة .

وقال يحيى بن معاذ : سبحان مَن يُذنبُ العبدُ فيستحي منه !!

وقال الفضيل : خمس من علامات الشقاء : القسْوة في القلب ، وجمود العيْن ، وقلّة الحياء ، والرغبة في الدنيا ، وطول الأمل .

وقالوا : الحياء ، ذَوَبان الحشا لاطِّلاع المولى .

وقال الواسطي : لم يَذُقْ لذَعَاتِ الحياء مَن لا بَسَ خرْقَ حدٍّ أو نقْضَ عهدٍ .

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص١٦ ، وبهجة المجالس لابن عبد البر ١/٥٩٠ .

وقال أبو علي الدقّاق : الحياءُ ترْك الدعوىٰ بين يدي الله عز وجل .

وقال أبو بكر الوراق : ربما أصلّي لله تعالى ركعتين ، فأنصرف عنهما وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة ؛ من الحياء »[١] .

أي بمنزلة السارق والزاني الذي يراه الناس .

قال الشاعر :

إنَّ الحياءَ من الإيمانِ جاءَ بـهِ ... لفـظُ النبي وخيـرٌ كلُّه فبـهِ
فليتصفْ كلُّ مَن يرىٰ مشاهدهُ ... وليسَ يعرفُ هذا غيرُ مُنْتبهِ
مستيقظٌ غيرُ نوّامٍ ولا كَسِلٍ ... مـراقـبٌ قلبـه لـدىٰ تقلُّبِهِ
إنَّ الحييَّ من اسماءِ اللهِ وقـدْ ... جاءَ التخلُّق بالأسماءِ فاحظَ بِهِ

وقال أعرابيٌّ من طَيِّئ :

فلا وأبيكَ ما في العيـش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهـب الحـياءُ
يعيشُ المرءُ مـا استحيا بخيرٍ ... ويبقـىٰ العُـودُ ما بقي اللِّحـاءُ

وقال وهب بن منبّه : الإيمان عريان ، ولباسُه التقوى ، وزينتُه الحياء .

وقال الحسن : الحياءُ والتكرُّم خصلتان من خِصال الخير ، لم يكونا في عبد إلّا رفعه الله بهما .

وقال الشاعر :

إني لأسـترُ ما ذو العقل ساتِرُهُ ... مِن حاجةٍ وأُميتُ السرَّ كِتمانَا
وحاجةٍ دون أخرى قدْ سمحتُ بها ... جعلتُها للتي أخفيتُ عُنـوانَا
إني كأني أرىٰ مَن لا حياءَ لهُ ... ولا أمانة وسْطَ القومِ عُريانَا

وقالوا : كفى بالحياء على الخير دليلًا ، وعن السلامة مخبِرًا ، ومن الذمِّ مجيرًا .

---

(١) الرسالة القشيرية ٢/٤٥٤ - ٤٥٩ .

وقالوا : الحياء تمام الكرم ، وموطن الرضا ، وممهِّد الثناء ، وموفِّر العقل ، ومعظِّم القدْر ، وداع إلى الرغبة .

وقال الشاعر حبيب بن أوس :

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي ... ولم تستحْي فاصنع ما تشاءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بقيَ اللِّحاءُ
وما في أنْ يعيشَ المرءُ خيرٌ ... إذا ما الوجهُ فارَقَهُ الحياءُ

وقال الشاعر :

إنَّا أناسٌ من سجيَّتِنا ... صِدْقُ الحديثِ وَوأْيُنا[1] حتْمُ
لَبِسوا الحياءَ فإنْ نظرتَ حسبْتَهُمْ ... سَقِمُوا ولم يَمْسسْهُمُ سُقْمُ

وقال الشاعر طرفة بن العبد :

حياؤك فاحفظْهُ عليكَ فإنَّما ... يدلُّ على فضْلِ الكريمِ حياؤهُ
إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤُهُ ... ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤهُ

وقال آخر :

وربَّ قبيحةٍ ما حال بيني ... وبين رُكوبِها إلّا الحياءُ
إذا رُزِق الفتى وجهًا وِقاحًا ... تقلَّب في الأمورِ كما يشاءُ

وقال محمد بن حازم :

وإني لَيُثنيني عن الجهلِ والخَنَا ... وشتْمِ ذوي القربى خلائقُ أربعُ
حياءٌ وإسلامٌ وتقوى وأنَّني ... كريمٌ ومثلي قد يضرُّ وينفعُ[2]

وقال الشاعر :

إيَّاكَ أنْ تزدري الرجالَ فما ... تعلمُ ما يجنُّهُ الصَّدَفُ

---

(١) وفي رواية : ووعدنا ؛ وهما بمعنًى واحد .
(٢) وذكرها صاحب الأغاني لأبي الأسود الدؤلي .

نفسُ الجـوادِ الكريـمِ باقيـة   فيهِ وإن كانَ مَسَّهُ عَجَفُ[(١)]
والحـرُّ حـرٌّ وإن ألمَّ بهِ الضُّـــرُّ وفيـهِ الحيـاءُ والأَنَـفُ[(٢)]

وقال الشاعر :

كريمٌ يَغُضُّ الطرْفَ فضلُ حيائهِ   ويدنو وأطرافُ الرماحِ دوانـي

وقال العَرْجيُّ :

إذا حُـرِمَ المـرْءُ الحياءَ فإنَّـه   بكـلِّ قبيـحٍ كانَ منهُ جديـرُ
لهُ قِحَةٌ في كـلِّ شـيء وسـرُّهُ   مُباحٌ وخِـدْناهُ خَنًا وغـرورُ
يرىٰ الشَّتم مَدْحًا والدناءةَ رِفْعةً   وللسَّمْعِ منه في العظاتِ نُفورُ
وَوَجْهُ الحياءِ مُلْبَسٌ جلدَ رِقَّةٍ   بغيـض إليه مـا يَشـين كثيـرُ
لـهُ رغبةٌ فـي أمْرِهِ وتجـرُّدٌ   حليمٌ لدىٰ جهْلِ الجهُولِ وقورُ
فَرَجٍّ الفتىٰ ما دامَ يَحيَا فإنَّهُ   إلى خيرِ حالاتِ المنيبِ يصير[(٣)]

و « في التفسير : ﴿ ولباسُ التقوىٰ ﴾ [الأعراف : ٢٦] قالوا : الحياء .

والحياء نظام الإيمان ، فإذا انحلَّ النظامُ ذهب ما فيه .

وقالوا: الوقار من الله عزَّ وجل، فمن رزقه الله الوقار فقد وسَمَه بسيماء الخير .

قال الحسن : أربعٌ مَن كنَّ فيه كانَ كاملًا ، ومَن تعلَّق بواحدة منهن كان من صالحي قومه : دِين يرشده ، وعقل يُسدِّده ، وحسَب يصونه ، وحياء يقوده .

قال الشاعر :

ما إنْ دعاني الهوىٰ لفاحشـةٍ   إلّا نهـاني الحيـاءُ والكـرَمُ

---

(١) العَجَف : ذهاب السمن ، وبقاءُ الهُزال من الجوع ، ويريد هنا أنَّ الهزال يُدركه من الجوع تعفُّفًا عن السؤال .

(٢) الأَنَف : كالأنَفَة ؛ وهما الحميَّة والإباء .

(٣) لباب الآداب للأمير أسامة بن منقذ ص٢٨٤ - ٢٨٧ . دار الكتب السلفية .

ولا إلى مَحْرَمٍ مددتُ يـدي ولا مشـتْ بي لريبةٍ قـدَمُ

وقال أبو دُلفِ العِجلي :

إذا لم تَصُن عِرضًا ولم تَخْشَ خالقًا ولم تَرْعَ مخلوقًا فما شِئْتَ فاصنع

قال الأصمعي : سمعتُ أعرابيًّا يقول : مَن كساه الحياء ثوْبه ، خفي عنِ الناسِ عيبُه »(1).

أخي :

إنَّ الرقيبَ لَزيـمٌ حيثُ كانَا لذاكَ يُحفظُ أعيانًا وأكـوانَا

وليسَ يخفى عليهِ من مُراقبِهِ شيءٌ وإنْ جلَّ ذاكَ الأمر أو هانَا

أخي :

فمَنْ راقب الحقَّ الرقيبَ بعينهِ فذاكَ الرقيبُ الحقُّ والمِثْلُ والكُفْءُ

قال حميد الطويل لسليمان بن علي : عِظني . فقال : « لئن كنتَ إذا عصيتَ خاليًا ظننتَ أنه يراك ؛ لقد اجترأتَ على أمْر عظيم . ولئن كنتَ ظننتَ أنه لا يراك فقد كفرتَ » .

وعن محمد بن واسع قال : كان لقمان عليه السلام يقول لابنه : « يا بني ، اتق الله ، ولا تُرِ الناسَ أنك تخشى الله عز وجل ، ليُكرموك بذلك وقلبُك فاجر » .

وقال بلال بن سعد : لا تكنْ وليًّا لله عز وجل في العلانية وعدوَّه في السرِّ .

وقال فرقد : « إن المنافق ينظر ، فإذا لم يرَ أحدًا دخل مدخل السوء ، وإنما يراقب الناس ولا يراقبُ الله تعالى » .

وقال الشاعر :

مَن عـامَـلَ اللهَ بتقــواهُ وكـانَ في الخَلَواتِ يخشاهُ

سقاهُ كأسًا من لذيذ المنى يغنـيهِ عـنْ لذَّاتِ دنيـاهُ

استوصى رجل بعض السلف ، فقال : أوصيك بحفظ نفسك من نفسك ،

(1) بهجة المجالس ، وأنس المجالس لابن عبد البر ١/٥٨٩ - ٥٩٣ - مكتبة ابن تيمية .

وتذكَّر قوله عز وجل : ﴿ **وهو الذي يتوفَّاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار** ﴾ [الأنعام : ٦٠] .

أخي :

استحِ مِنَ اللهِ في خلَواتكَ ، ولا تكنْ الجرأةُ على محارم الله في الخلْوةِ صفتَك :

عن أبي عامر الألهاني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لأَعلمَنَّ أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسناتٍ أمثال جبال تِهامة بِيضا ، فيجعلُها اللهُ هباءً منثورًا » . قال ثوبانُ : يا رسول الله ، صِفْهم لنا ، جَلِّهمْ لنا ؛ ألّا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال : « أمَا إنهم إخوانكم ، ومن جلْدتكم ، ويأْخذون من اللَّيلِ كما تأْخذون، ولكنَّهم أَقْوامٌ إذا خلوْا بمحارمِ اللهِ انتهكوها »(١) .

وكمْ ذي معاصٍ نالَ منهنَّ لذَّةً ... وماتَ فَخلّاها وذَاقَ الدَّوَاهِيَا
تصرَّمُ لذاتُ المعاصي وتنقضي ... وتبقَى تباعاتُ المعاصي كما هِيَا
فَيَاسَوْأتا واللهُ راءٍ وسامِعٌ ... لعبدٍ بعيْن اللهِ يَغشَى المعاصِيَا(٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « يا صاحب الذنب ، لا تأمننَّ من سوءِ عاقبته . ولَمَا يتبع الذنب أعظمُ من الذنب إذا عملتَه ؛ قلّة حَيائكَ ممَّن على اليمين والشمال - وأنت على الذنب - أعظم من الذنب الذي عملته . وضَحِكُكَ - وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك - أعظم من الذنب . وفرحك بالذنب - إذا ظفرتَ به - أعظم من الذنب . وحزنك على الذنب - إذا فاتك - أعظم من الذنب إذا ظفرتَ به . وخوفك من الريح إذا حرَّكت ستْرَ بابك- وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظَر الله إليك- أعظم من الذنب إذا

(١) صحيح : أخرجه ابن ماجه ، وصححه المنذري في الترغيب ، والبوصيري في الزوائد ٣/٣٠٦ .

(٢) الحياء خلق الإسلام ص٥٤ - ٥٦ .

عملته »[1] .

أخي :

قال ميمون بن مهران : علانية بغيْر سريرة : مثلُ كنيف مُزَخْرَف من خارجه ، ومن داخله النتن والخُبْثُ .

أخي :

كنْ مِن هؤلاء الذين قال الله فيهم : ﴿ **ولمَن خاف مقامَ ربِّه جنتان** ﴾ [الرحمٰن : ٤٦] .

قال مجاهد : هو الرجل يخلو بمعصية الله ، فيذكرُ مقامَ اللهِ فيدعُها فَرَقًا من الله .

وقال ابن الجوزي : « الرجل - واللهِ - مَن إذا خلا بما يُحبُّ من المحرّم وقدَرَ عليه ، وتقلقلَ عطَشًا إليه ؛ نظرَ إلى نظَرِ الحقِّ إليه ، فاستَحْيا من إجالة همِّه فيما يكرهه ، فذهب العطَشُ » .

ولله درُّ القائل :

وإذا خلوت بريبةٍ في ظلمةٍ والنفْسُ داعيةٌ إلى الطغيانِ
فاسْتَحْي مِن نظَرِ الإلٰهِ وقلْ لها إنَّ الذي خلَقَ الظلامَ يراني

* * *

(١) الحلية ٣٢٤/١ .